العنوان:	ما حقيقة رحلة قريش في الصيف إلى الشام؟
المصدر:	الدارة - السعودية
المؤلف الرئيسي:	الهلابي، عبدالعزيز بن صالح
المجلد/العدد:	مج 22, ع 4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1996
الشهر:	شوال
الصفحات:	65 - 94
رقم MD:	198437
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	القرآن الكريم، قبيلة قريش، رحلة الشتاء والصيف، بلاد الشام، العلاقات التجارية، الطرق التجارية، السور والايات، التجارة، القبائل العربية، الجوانب الاقتصادية، الجوانب الدينية، القوافل التجارية، الدولة البيزنطية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/198437

ما حقيقة رحلة قريش في الصيف إلى الشام؟

د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

أشار القرآن الكريم إلى رحلة قريش في الشتاء والصيف وربطها بالإيلاف في قوله تعالى: ﴿لإيلَف قُرَيش *١ إلَفهم رحلَةَ الشِّتَآء وَالصَّيف * ٢ فَليَعبُدُواْ رَبَّ هَذَا البَيت *٣ الَّذى أَطعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّن خَوف*٤﴾[1]. وقد حظيت تجارة قريش قبل الإسلام والإيلاف باهتمام عدد من الدارسين المعاصرين، فصدر العديد من الدراسات عنها، منها ماكان ضمن دراسة تاريخ مكة وقريش، ومنها ما أفراد للتجارة والإيلاف، وأحدث أربع دراسات عن هذا الموضوع:

١- قريش قبل الإسلام: دورها السياسي والاقتصادي والديني
عواطف أديب سلامة، الرياض، ١٩٩٤م

٢- إيلاف قريش: رحلة الشتاء والصيف
فكتور سحاب، بيروت، ١٩٩٢م

٣- Merchant Capital and Islam,

Mahmood Ibrahim, Texas, 1990

٤- Meccan Trade and the Rise of Islam,

Patricia crone, Princeton, 1987.

وبما أن دراستنا سوف تقتصر علي دراسة جانب صغير من الموضوع لم تتعرض له الدراسات السابقة ومن ثم سوف يكون من باب الاستطراد القيام بتقويم الدراسات الشاملة للتجارة والإيلاف.

أما لماذا تقتصر هذه الدراسة على ما اصطلحت المصادر على تسميته بـ «رحلة الصيف» دون «رحلة الشتاء» فهو اعتقادنا أننا نملك بعض الأدلة والقرائن التي ربما تساعدنا في الوصول إلى مانهدف إليه من نتيجة، بينما لانملك في الوقت الحاضر مثل تلك الأدلة والقرائن عن «رحلة الشتاء».

أما متى وكيف بدأت تجارة قوافل قريش مع الأقطار والأقاليم المجاورة لمكة، فتشير بعض الروايات التاريخية أن قريشاً كانوا تجاراً وكانت تجارتهم محلية حتى نجح هاشم بن عبد مناف جد والد الرسول ﷺ في الحصول على كتاب أمان من الإمبراطور البيزنطي بالسماح لقريش وأهل مكة بجلب البضائع إلى الشام الواقعة تحت سلطته، ثم حصل هاشم بعد ذلك على عهود أمان من رؤساء القبائل الواقعة على الطرق[٢]. وقد سميت تلك العهود بالإيلاف، ويحدد بعض الباحثين بأن ذلك تم في سنة ٥٢٠م تقريباً[٣].

وبما أن «الإيلاف» أفرد له القرآن الكريم سورة كاملة فيجدر بنا أن نعرف المقصود بالإيلاف من خلال ماكتبه المفسرون، ثم ننتقل بعد ذلك لمعرفة آراء المؤرخين عن الموضوع نفسه.

يقول الصحابي عبدالله بن عباس (ت٦٨هـ/ ٦٨٧م) في تفسير ﴿لإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾: «نهاهم عن الرحلة وأمرهم أن يعبدوا رب هذا البيت وكفاهم المؤونة، وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف، فلم يكن لهم راحة في شتاء ولاصيف،

فأطعمهم بعد ذلك من جوع، وآمنهم من خوف، وألفوا الرحلة، فكانوا إذا شاءوا ارتحلوا وإذا شاءوا أقاموا، وكان ذلك من نعمة الله عليهم». [٤] ولابن عباس تفسير آخر يؤدي المعنى نفسه تقريباً: «﴿ إِلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ يقول: لزومهم». [٥] ويروي عنه تلميذه عكرَمَة البَربري (ت١٠٥هـ/ ٧٢٣م) رواية ثالثة لا يفهم منها النهي عن الرحلة ولزوم البيت، وإنما وردت الآية ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ على سبيل التشبيه فيقول: «أمروا أن يألفوا عبادة رب هذا البيت كإلفهم رحلة الشتاء والصيف»[٦].

أما سعيد بن جبير (ت٩٥هـ٧١٣م) وهو أحد تلاميذ ابن عباس فيروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ «قال: نعمتي على قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، قال: كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف». [٧] وقد جمع المفسر البغوي (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) إسنادين فقال: «روى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف، فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت». [٨] ونقل المفسر ابن جزي (٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م) هذه الرواية ضمن روايات أخرى لكن هذه الرواية أوردها بصيغة التضعيف «وقيل»[٩].

أما قتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت١١٧هـ/ ٧٣٥م) فقوله في تفسير ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِلَٰفِهِمْ﴾: «كان أهل مكة تجاراً يتعاورون ذلك شتاءً وصيفاً، آمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعض، لايقدرون على ذلك ولا يستطيعونه من الخوف، حتى إن كان الرجل منهم ليصاب في حي من أحياء العرب، وإذا قيل: حرمي، خلى عنه وعن ماله تعظيماً لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن». [١٠]

إن الروايات المتقدمة كلها لابن عباس وتلاميذه باستثناء قتادة وهو آخرهم وفاة (١١٧هـ) ولم يشر أحد منهم إلى وجهة رحلات قريش غير عكرمة في رواية أخرى له حيث يقول: «كانت قريش قد ألفوا بصرى واليمن، يختلفون إلى هذه في الشتاء

وإلى هذه في الصيف ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ فأمرهم أن يقيموا بمكة». (١١) ونلاحظ أن العبارة الأخيرة في رواية عكرمة تنسجم مع رواية ابن عباس السابقة.

وينقل تلميذ ابن عباس عطاء بن أبي رباح (١١٤هـ/ ٧٣٢م) عن أستاذه: «أنهم كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين». (١٢) ويضيف الدياريكري إلى هذا النص: «يعني في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام». (١٣) والظاهر أن هذه الإضافة التفسيرية ليست من رواية عطاء.

على أن المفسرين الذين تلوا هؤلاء أو عاصروهم بدأ يظهر لديهم تحديد جهة الرحلة أو الرحلتين فأبو صالح باذام (ت١٢١هـ/ ٧٣٨م). يقول في تفسير ﴿لإِيلَفِ قُرَيْشٍ إِلَفِهِمْ﴾ " «كانوا تجاراً فعلم الله حبهم للشام». (١٤) أما تلميذ أبي صالحَ محَمد بن السَائب الكلبي (ت١٤٦هـ/ ٧٦٣م) فيزيد رواية أستاذه أيضاحاً حيث يقول: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ﴾ قال: كانت لهم رحلتان: رحلة في الشتاء إلى ليمن ورحلة في الصيف إلي الشام(١٥).

وقال الكلبي: «وكان أول من حمل السمراء [أي الحنطة] من الشام ورَحَّل إليها الإبل هاشم بن عبدمناف». (١٦) ويحفظ الطبري في تفسيره(١٧) رواية لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، تتفق تماماً مع رواية الكلبي في تحديد وجهة الرحلتين. «ومايجدر التنويه عنه أن ابن هشام يقول: و«إيلاف قريش: إيلافهم الخروج إلى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خرجتان: خرجة في الشتاء وخرجة في الصيف». (١٨) ويلاحظ أن كلا الرحلتين تذهبان إلى الشام. ولعل ابن جزي اعتمد في تفسيره على هذه الرواية أو مثلها عندماقال: «وقيل: كانت الرحلتان جميعاً إلى الشام». (١٩)

مما تقدم نلاحظ أن تحديد وجهتي رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن والشام أول ماظهرت عند المفسرين لدى عكرمة لكن عكرمة نقل رواية أخرى تناقض هذه الرواية بأن حدد الرحلتين إلى الطائف في الصيف ومكة في الشتاء. أما عطاء فذكر أن هاشم جمع قريشاً على الرحلتين دون أن يحدد وجهتهما وطبيعتهما.

على أن الجيل التالي المتمثل بمحمد بن السائب الكلبي وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم حددا وجهة الرحلتين تحديداً واضحاً بأنه كان إلى اليمن في الشتاء وإلى الشام في الصيف .

وقد أخذ بعض المفسرين المتأخرين رواية الكلبي وابن زيد دون أن يفصحوا بالنقل عنهما، ولعل ذلك يعود إلى أنهما لايتمتعان بسمعة جيدة في أوساط المحدثين[٢٠] فابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) يبين أنه غير مطمئن إلى صحة الرواية وذلك باستخدامه لفظة (وقيل): «والمراد بذلك ماكانوا يألفونهم من الرحلة في الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك[٢١] . . . » . أما البغوي (ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م) فاستخدم عبارة (وقال الآخرون) .[٢٢] وابن جزي (ت٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م) أوردها دون أن يسبقها بعبارة تضعيف : «وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة، رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام»[٢٣] . وأورد الروايات البديلة بصيغة التضعيف (وقيل) .

أما الرواية التاريخية فتذكر المقصود بالإيلاف وسبب إنشائه، وترجع ذلك إلى هاشم بن عبدمناف جد والد الرسول ﷺ، ومضمون الرواية التاريخية - على ما بينهما من فروق في الألفاظ في المصادر - هو : أن قريشاً كانوا تجاراً وكانت تجارتهم لاتعدو مكة، وإنما يقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها فيما بينهم ويبيعون من حولهم من العرب . فكانت تجارتهم كذلك حتى ركب هاشم بن عبدمناف فنزل بقيصر وقال له هاشم : أيها الملك إن لي قوماً وهم تجار العرب، فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم وتؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بمايستطرف من أدم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم . فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم، فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً .

والإيلاف : أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف، وإنما هو أمان الطريق . وعلى أن قريشاً تحمل له بضائع فيكفونهم حملانها ويردون عليهم رؤوس أموالهم وأرباحهم[٢٤] .

ومصدر هذه الرواية لدى ابن حبيب هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م) أما بقية المصادر التي أحلنا إليها فلاتذكر أسانيدها ولكن نصوصها تتفق مع نص ابن حبيب. وقد أورد ابن سعد[٢٥] رواية موجزة للواقدي ينتهي إسنادها بعبدالله بن نوفل بن الحارث (ت٩٩هـ/ ٧١٧م) تتفق في مضمونها مع رواية ابن الكلبي. وطبيعي ألا نجد ذكراً في هذه الرواية لرحلة صيف أو شتاء لأنها معنية بتحديد بداية تجارة قريش مع الشام.

ويذكر كل من الكلبي والواقدي أن أخوة هاشم الثلاثة الآخرين قاموا بالحصول على عقود آمان من ملوك الحبشة واليمن وفارس مشابهة لذلك الذي حصل عليه هاشم من قيصر وسميت عصم وعقود وحبال[٢٦] ومن ثم فقد شرعت قريش تتاجر مع هذه البلدان.

وأقدم النصوص التاريخية المتوافرة لدينا عن ذكر رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن ينتهي إسنادها بابن عباس (٦٨هـ/ ٦٨٧). وقد لاحظنا أن تفسير ابن عباس وتلاميذه لسورة الإيلاف لم يرد فيه ذكر لرحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن باستثناء إحدى روايات عكرمة. كما لاحظنا أن أول من ربط من المفسرين بين الرحلتين واليمن والشام هو محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ). يحفظ ابن سعد[٢٧] هذه الرواية: «قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان اسم هاشم عمراً، وكان صاحب إيلاف قريش، وإيلاف قرشي دأب قريش، وكان أول من سن الرحلتين لقريش. ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة وإلى النجاشي فيكرمه ويحبوه، ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غزة وربما بلغ أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه فيحبوه، فأصابت قريشاً سنوات ذهبن بالأموال..».

أما ابن حبيب فيحفظ رواية للكلبي تتفق مع رواية ابن سعد في وجهة الرحلتين وتختلف معها في بعض مضمونها:

«الكلبي قال: كانت قريش تعودت رحلتين إحداهما في الشتاء إلى اليمن والأخرى في الصيف إلى الشام، فمكثوا بذلك حتى اشتد عليهم الجهد وأخصب تباله وجرش وأهل ساحل البحر من اليمن، فحمل أهل الساحل في البحر، وحمل أهل البر على الإبل، فأرفأ أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب، فامتار أهل مكة ماشاءوا وكفاهم الله الرحلتين اللتين كانوا يرحلون إلى اليمن والشام فأنزل الله عز وجل ﴿لإيلَف قُريَش لإفهم رحلَةَ الشِّتَآء وَالصَّيف﴾ وقوله: ﴿آمنهم مِّن خَوف﴾ يريد خوف العدو وخوف الجذام، فليس في الأرض قرشي مُجَذَّم، وإيلافَ قريش يعني دأب قريش رحلة الشتاء والصيف، فأصابت قريشاً سنوات ذهبن بالأموال..»[٢٨].

وقد أشرنا سابقاً إلى أن محمد بن السائب الكلبي لايتمتع بثقة أصحاب الحديث، وننقل هنا تقويم يحيى بن معين لأبي صالح باذام الذي كثيراً مايروي عن الكلبي: «ليس به بأس، وإذا حدث عنه الكلبي فليس بشيء»[٢٩].

على أن لدينا رواية تسند إلى ابن عباس وعن غير طريق «محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح» ويذكر فيها رحلة الشتاء إلى اليمن وهي: «.. عن ابن عون، عن المسور بن مخرمة، عن ابن عباس قال: إن عبدالمطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء..»[٣٠].

ويفهم من قول الكلبي في روايته السابقة عند ابن حبيب: «وكفاهم الله الرحلتين اللتين كانوا يرحلون إلى اليمن والشام» أن رحلات التجارة هذه توقفت.

وابن هشام الذي اقتبسنا رأيه في تفسيره سورة الإيلاف وهو أنه كان لقريش خرجتان إلى الشام واحدة في الصيف والأخرى في الشتاء، يقول في مكان آخر: «وكان هاشم - فيمايزعمون - أول من سن الرحلتين لقريش: رحلتي الشتاء والصيف..»[٣١] دون أن يحدد وجهة الرحلتين، وعبارة عدم الاطمئنان «فيما يزعمون» يقصد بها نسبة سن الرحلتين إلى هاشم.

أما الطبري فعبارته أقوى من ابن هشام «وذُكر أن هاشماً هو أول من سن الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف»[٣٢].

وإذا قبلنا أن تجارة قوافل قريش تتكون من رحلتين واحدة في الشتاء إلى اليمن وأخرى في الصيف تذهب إلى الشام فيتبادر إلى الذهن بعض الأسئلة حول سبب تقسيمها الموسمي على هذا النحو منها: هل كان ذلم لأسباب مناخية تتعلق بالحر والبرد وهو الأمر الذي يذهب إليه الظن أول الأمر. أم أنها ترتبط بمواسم إنتاج زراعي وحيواني في كلا المنطقتين؟ أم أنها تتعلق بموسم وصول أو مغادرة سفن تجارية من وإلى موانئ البحر الأحمر وموانئ البحر المتوسط؟ أم أنها ترتبط بمواعيد قيام أسواق موسمية؟ أم غير ذلك؟

إن المصادر لاتعين كثيراً في تحديد إجابة عن هذه الأسئلة، وماتقدمه من معلومات ضئيلة يقتصر على العامل المناخي، فعبدالرحمن بن زيد بن أسلم يقول: «كانت لهم رحلتان: الصيف إلى الشام، والشتاء إلى اليمن في التجارة، إذا كان الشتاء امتنع الشام منهم لمكان البرد، وكانت رحلتهم في الشتاء إلى اليمن.»[٣٣] أما مؤرج بن عمرو السدوسي (ت١٩٥/ ٨١٠) فيقول عن هاشم بن عبدمناف: «وكان يأمر قريشاً أن يرحلوا إلى الشام في الصيف وإلى اليمن في الشتاء، لبرد الشام ولحر اليمن، فهما الرحلتان: رحلة الشتاء والصيف»[٣٤].

ولعله لايكون استطراداً الإشارة إلى أن العرب كانت تسمى فصل الصيف ويقصدون به فصل الربيع، ويسمون فصل الصيف القيظ قال ابن قتيبة: «وتذهب (العرب) في عدد الأزمنة إلى الابتداء بفصل الخريف وتسميه الربيع . . . ثم يكون بعده فصل الشتاء، ثم يكون بعد فصل الشتاء فصل الصيف وهو الذي يسميه الناس الربيع . . . وقد يسميه بعضهم الربيع الثاني، ثم يكون بعد فصل الصيف فصل القيظ وهو الذي يسميه الناس الصيف . . .

فأول وقت الربيع عندهم وهو الخريف ثلاثة أيام تخلو من أيلول (سبتمبر) وأول الشتاء عندهم ثلاثة أيام تخلو من كانون الأول (ديسمبر). وأول الصيف

عندهم وهو الربيع الثاني خمسة أيام تخلو من آذار (مارس). وأول القيظ عندهم أربعة أيام تخلو من حزيران (يونيو)»[٣٥].

نخلص من الروايات في كتب التفسير والتاريخ حول الإيلاف ورحلتي قريش في الشتاء والصيف أن أقدم مصدر لها هو محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ/ ٧٦٣) والذي ينسبها إلى أبي صالح عن ابن عباس، والواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢)، يتفق مع الكلبي في رواية الإيلاف فقط. وأن بعض المصادر المبكرة غير حاسمة في موقفها منها، فبعضها يستخدم «فيما يزعمون»، «وذُكر»، و«قيل» ولن يدفعنا هذا إلى التشكيك أو نفي وجود تجارة قوافل قريش مثلماً فعلت باتريشيا كرون بناء على استنتاجاتها الخاصة[٣٦] وذلك لوجود أدلة مادية حاسمة تثبت وجود تجارة القوافل سوف نتطرق لها بعد قليل.

تشير بعض الدراسات الحديثة إلى عدد من الأسباب التي أدت إلى صعود مكة وتمرسها في تنظيم التجارة، منها الغزو الحبشي لليمن وأثره في ضرب التنظيم الحميري، لقد كان سقوط اليمن فرصة مكة، واستغل المكيون هذه الفرصة استغلالاً تاماً وأصبحت مدينتهم مركز التجارة الأول في غرب الجزيرة العربية، وقد بدأ المكيون في القرن السادس ينظمون رحلة الشتاء بعدما كانوا يعاونون تجار اليمن بقوافلهم، كما أن نظام مراقبة التصدير والاستيراد الذي فرضته الدولتان المتحاربتان البيزنطية والفارسية على الحدود بينهما في بادية الشام جعل التجارة تتخذ لنفسها طرقاً تجنبها المراقبة الشديدة أو توفر المكوس[٣٧].

وعند شروع أهل مكة في النشاط التجاري الخارجي كانت مشكلة الأمن من أهم المشاكل التي واجهتهم لتأمين سير القوافل، وقد استطاعوا معالجة الأمر بالطرق الدبلوماسية حيث عقدوا سلسلة من الاتفاقيات مع القبائل التي تقع على طريق التجارة ليضمنوا سير قوافلهم دون أي اعتداء، وتدعى هذه الاتفاقيات «الإيلاف».[٣٨] وعند ظهور الإسلام كان قد بلغ على إنشائه قرابة القرن، وكان مفيداً في توسيع صلات المكيين التجارية، ومكنهم من بناء شبكة من الأسواق الدولية[٣٩].

إن الزعامة الروحية لقريش إضافة إلى الإيلاف أو الترتيبات الأمنية قد ربطت القبائل العربية الضاربة على جنبات طرق التجارة بتجارة قريش وقوافلها عن طريق المشاركة أو عن طريق الخدمات التي تقدمها القبائل نظير أجر، أو عن طريق المحالفات والمصاهرات، ولقد استطاع رجال قريش بمهارة فائقة أن يحافظوا على حسن العلاقات مع هذه القبائل البدوية(٤٠).

ونحن في هذا البحث معنيون بـ «رحلة الصيف» فحسب من تجارة قريش بل بشكل أكثر تحديداً معنيون بالإجابة عن السؤال التالي: هل حقيقة تجارة قريش مع الشام مقصورة على رحلة واحدة بالصيف؟ وهو الأمر الذي تذهب إليه المصادر ويقره الدارسون المعاصرون(٤١).

إن مصادرنا لاتمدنا بمعلومات ذات قيمة عن الفترة الزمنية السابقة للإسلام تعين على الإجابة عن السؤال السابق، والوسيلة المتوافرة لدينا هي دراسة بعض الروايات التاريخية المتعلقة بأحداث فترة السيرة النبوية من بداية الهجرة وحتى فتح مكة سنة ٨هـ، خاصة بعض السرايا والغزوات.

لقد قضى الرسول ﷺ الأشهر الأولى التالية للهجرة في إرساء القواعد المهمة لمجتمع المسلمين الجديد في المدينة ونشر الإسلام بين أهلها، وقد أدرك الرسول ﷺ أن نشر الإسلام خارج المدينة بين قبائل العرب لن يتحقق بالقدر الذي يريده نظراً لنفوذ قريش الديني والاقتصادي بين معظم القبائل، وبما أن قريشاً كانت تعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على التجارة، وأن لتجارتها مع الشام أهمية خاصة نظراً لضخامتها، وكانت قوافل قريش المتجهة نحو الشام تسلك الأودية الواقعة غربي المدينة بينها وبين ساحل البحر، ومن ثم فقد أرسى النبي ﷺ استراتيجية ﷺ على خنق مكة اقتصادياً، وذلك بضرب تجارتها مع الشام، واتخذ لتنفيذ ذلك عدداً من التدابير:

أولها: نص في الدستور الذي ينظم العلاقة بين عناصر مجتمع المدينة الجديد في بندين أحدهما: يلزم المشركين من أهل المدينة بعدم تقديم الحماية لتجارة قريش

وأفرادها: «وأنه لايجير مشرك مالاً لقريش ولانفساً»[٤٢] والآخر يلزم اليهود من أهل المدينة ونصه: «وأنه لاتجار قريش ولامن نصرها»[٤٣].

وثانيهما: استخدام سياسة الترغيب أو القوة - حسب ماتقتضيه الحال - مع القبائل التي تسكن في المناطق والمحطات التي تمر بها قوافل قريش وترتبط معها بعقود الايلاف ونتج عن هذه السياسة عقد المحالفات مع بعض القبائل وتحييد البعض الآخر وهو ماتسميه المصادر «الموداعة».

وثالثها: إرسال الغزوات والسرايا للتعرض لقريش وتهديد قوافلها أو تهديد القبائل المتحالفة معها، وهذا سبب لها إزعاجاً شديداً فمن ناحية أصبح المسلمون خطراً مُحْدقاً بتجارتهم المتجهة للشام، ومن ناحية أخرى مايسببه تحدي المسلمين لقريش من أثر سلبي لدى القبائل العربية خصوصاً أن بعضها تخلت عن معاهدة الإيلاف وتحالفت مع المسلمين ضد قريش والبعض الآخر أصبح على الحياد بين الطرفين.

وسوف نتتبع فيما يلي تواريخ ذهاب أو عودة القوافل بالقدر الذي تمدنا به تواريخ السيرة وسيكون اعتمادنا الرئيسِ على الواقدي لأنه أكثر مؤرخي السيرة عناية بذكر التواريخ وسوف نذكر رواية ابنَ هشام وغيره كرواية بديلة ولايعني ذلك أن رواية الواقدي أصح من رواية ابن هشام فكل رواية يمكن تقويمها لوحدها.

١- أول قافلة نعرف تاريخ عودتها من الشام كانت قبل وصول الرسول ﷺ المدينة. يروي عروة بن الزبير (ت ٩١هـ/ ٧٠٩م): «أن الرسول ﷺ لقى الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض». (٤٤) ويظهر أنه كان في القافلة نفسها طلحة بن عبيد الله، ، حيث يروي ابن سعد حديثاً نصه: «لما ارتحل رسول الله ﷺ من الخرار في هجرته إلى المدينة فكان الغد لقيه طلحة بن عبيد الله جائياً من الشام في عير، فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر من ثياب الشام. . »(٤٥).

ومعروف أن وصول النبي ﷺ المدينة كان في يوم الإثنين الموافق ١٢ ربيع الأول ويوافق ذلك النصف الثاني من أيلول من شهر/ سبتمبر ٦٢٢م[٤٦].

وإذا كانت الرحلة تستغرق قرابة الشهر فتكون خرجت من الشام في النصف الثاني من شهر آب/ أغسطس ومما لاشك فيه أن الجو حار في هذا الشهر.

٢- وفي رمضان من السنة الأولى من الهجرة أرسل رسول الله ﷺ أول سرية بقيادة عمه حمزة بن عبدالمطلب في ثلاثين رجلاً فبلغوا العيص على ساحل البحر لاعتراض قافلة قادمة من الشام تريد مكة يرأسها أبوجهل وعدد رجالها ثلاثمائة رجل، وقد نجح أحد زعماء قبيلة جهينة بإقناع الطرفين بعدم الدخول في قتال فواصلت العير رحلتها إلى مكة وعاد حمزة إلى المدينة[٤٧].

وتاريخ السرية وعودة القافلة يصادف النصف الأول من شهر آذار/ مارس ٦٢٣م وبناء على ذلك فتكون هذه القافلة الكبيرة في الشام وقت الشتاء وليس الصيف. أما ابن هشام فلم يصرح بتاريخ هذه السرية لكن يمكن الاستنتاج أن تاريخها في ربيع الأول سنة ٢هـ[٤٨] ويوافق أيلول/ سبتمبر ٦٢٣م وتوقيت عودتها يتفق تقريباً مع عودة القافلة التي كان فيها كل من الزبير وطلحة وتنسجم مع «رحلة الصيف».

٣- في شوال من السنة الأولى من الهجرة بعث الرسول ﷺ سرية بقيادة عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبدمناف إلى بطن رابغ، وتبعد عن المدينة حوالي ٢٦٠كم من الجنوب الغربي، ومعه ستون من المهاجرين والتقى بمشركي قريش وعددهم مائتان يقودهم أبوسفيان وتراموا بالحجارة ولم يلجأوا إلى استخدام السيوف، وإنما نكبوا عن الطريق ليرعوا ركابهم[٤٩].

وتاريخ هذه السرية يصادف على الأرجح النصف الثاني من شهر نيسان/ أبريل ٦٢٣م.

أما ابن هشام فيقول: «. . . فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن بينهما قتال . . وكان على القوم عكرمة بن أبي

جهل». ويجعل تاريخها في أعقاب غزوة ودان «غزوة الأبواء» والتي يؤرخها في صفر سنة ٢هـ(٥٠) وتوافق تقريباً أيلول/ سبتمبر ٦٢٣م.

ويلاحظ أن المصادر لاتشير إلى «عير» في هذه السرية، ولابد أن إرسال السرية كان بناء على الأخبار التي يجمعها الرسول عن تحركات عير قريش إضافة إلى خبرته وخبرة أصحابة في مواعيد ذهاب قوافل قريش وعودتها والطرق التي تسلكها ولذا فالسرية محددة التوقيت ومحددة الاتجاه.

ويمكن الاستنتاج أنها كانت قافلة تجارية ذاهبة من مكة إلى الشام بدليل قول ابن إسحاق: «ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية، وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة، وعتبة ابن غزوان بن جابر المازني، حليف بني نوفل بن عبدمناف وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار...»(٥١).

ويلاحظ أن توقيت ذهابها وفقاً لرواية الواقدي كان في بداية فصل الربيع وتنسجم مع «رحلة الصيف»، أما بالنسبة لرواية ابن هشام فهي في بداية الخريف بمعنى أنها سوف تقضي الشتاء في الشام.

٤- سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار وهوليس بعيداً من المكان الذي ذهبت إليه سرية عبيدة بن الحارث، ويبعد عن رابغ ٢٢كيلو من الشرق مع ميل إلى الجنوب،(٥٢) وكان مع سعد عشرون رجلاً، وكان هدفهم أن يكمنوا لعير قريش إلا أن العير فاتتهم بيوم واحد، ولم تحدد جهة العير إن كانت ذاهبة إلى الشام أم عائدة منها.

وكانت في ذي القعدة سنة ١هـ(٥٣) ويصادف تقريباً النصف الثاني من شهر آيار/ مايو ٦٢٣م.

أما ابن هشام فيجعل عدد رجال السرية الذي مع سعد ثمانية من المهاجرين فقط، ولايعطي تاريخاً دقيقاً لها حيث يقول: «وبعث رسول الله ﷺ فيما بين ذلك

غزوة سعد بن أبي وقاص»[٥٤] ويمكن الاستنتاج أنها كانت في جمادى الأولى سنة ٢هـ[٥٥] ويصادف تقريباً تشرين الثاني/ نوفمبر ٦٢٣م.

٥- غزوة الرسول ﷺ للأبواء، وهي غزوة ودان، يعترض عيراً لقريش، ففاته العير، ويبعد المكانان عن المدينة حوالي ٢٥٠كم جنوباً فغرب.

ولم تذكر المصادر إن كانت العير ذاهبة إلى الشام أو عائدة إلى مكة، ووادع بني ضمرة بن كنانة على ألا يغزوهم ولا يغزونه، وألا يعينوا عليه أحداً[٥٦].

ويتفق الواقدي وابن هشام على تاريخ هذه الغزوة في صفر سنة٢هـ، ويصادف تقريباً آب/ أغسطس ٦٢٣م.

فهل تكون هذه القافلة قادمة من الشام إلى مكة وتكون إما القافلة التي اعترضها عبيدة بن الحارث في بطن رابغ أو التي حاول سعد بن أبي وقاص اعتراضها في الخرار؟ أو أنها ذاهبة من مكة إلى الشام؟ لانملك من الأدلة أو القرائن مايمكننا من ترجيح احتمال على آخر.

٦- وغزوة الرسول ﷺ التي وصل فيها إلى بواط من أرض جهينة ممايلي طريق الشام، وتقع بواط في ينبع النخل[٥٧]، وتبعد عن المدينة حوالي ١٨٤كم من الناحية الغربية الشمالية، ليعترض عير قريش، فيها أمية بن خلف الجمحي، ومائة رحل من قريش، وألفان وخمسمائة بعير، ففاته العير، وكان مع الرسول ﷺ مائتان من أصحابه.

وتاريخ هذه الغزوة في شهر ربيع الأول سنة٢هـ[٥٨] ويوافق تقريباً شهر أيلول/ سبتمبر ٦٢٣م.

وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ لبث بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى.[٥٩] ولعله فعل ذلك - إن صح - يترصد وصول قافلة أخرى.

ولم تذكر المصادر إن كانت القافلة ذاهبة إلى الشام أم عائدة منها، فإن صح أن أمية بن خلف الجمحي كان قائدها فيمكن الاستنتاج أنها كانت عائدة من الشام لأنه معروف أن أمية بن خلف شارك في معركة بدر وقتل فيها (١٧ رمضان٢هـ)، بل إن

الواقدي يروي قصة استضافة أمية للصحابي الأنصاري سعد بن معاذ والذي قدم إلى مكة لأداء العمرة قبل بدر.[٦٠] ونحن نرجح أن العمرة كانت في رجب لأن العرب كانوا يفضلون أداء العمرة فيه على غيره من الشهور. ويستبعد أن تذهب القافلة إلى الشام في ربيع الأول وتعود إلى مكة في رجب أو شعبان.

٧- غزوة العُشَيْرة: يذكر الواقدي أن الرسول ﷺ جاءه الخبر بفصول العير من مكة تريد الشام، وقد جمعت قريش أموالها فهي في تلك العير، وكانت العير ألف بعير، وكانت فيها أموال عظام، فكان يقال: إن فيها لخمسين ألف دينار وعدد المقاتلين المسلمين يتراوح بين مائة وخمسين ومائتين، وقد فاتتهم العير[٦١] ويقول ابن اسحاق: «حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة».[٦٢] ويروي الواقدي عن مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وكانا في القافلة: «لما كنا بالزرقاء بالشام بناحية معان . . . ونحن منحدرون إلى مكة، لقينا رجل من جذام فقال: قد كان عرض لكم محمد في بدأتكم في أصحابه فقلنا: ما شعرنا قال: بلى، فأقام شهراً ثم رجع إلى يثرب[٦٣]».

ويجعل الواقدي تاريخ هذه الغزوة في جمادى الآخرة سنة ٢هـ[٦٤] ويصادف تقريباً شهر كانون الأول/ ديسمبر ٦٢٣م. أما ابن إسحاق فيجعلها في جمادى الأولى وبعض جمادى الآخرة سنة ٢هـ[٦٥] ويصادف تقريباً شهري تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر ٦٢٣م.

وبصرف النظر عن الاختلاف اليسير في تاريخ الغزوة، لكن القافلة بدأت رحلتها نحو الشام في بداية فصل الشتاء.

٨- وقد عادت هذه القافلة في شهر رمضان سنة ٢هـ ويوافق تقريباً آذار/ مارس ٦٢٤م. ومما يقوي أن عودتها كان في وقت المطر حيث ذكرت المصادر في وصفها لغزوة بدر وقت نشوب القتال: «وبعث الله السماء»(٦٥ب). ويكون الوقت الذي استغرقته في السفر من محطة العشيرة بينبع والإقامة في الشام والعودة

حتى وصلت قريباً من المدينة أكثر من ثلاثة أشهر تقريباً حسب رواية الواقدي، وأكثر من أربعة أشهر حسب رواية ابن إسحاق، ويكون الوقت الفاصل بين عودة القافلة التي يرأسها أمية بن خلف الجمحي - إن كان استنتاجاً صحيحاً - في أيلول/ ديسمبر وبين قيام هذه القافلة من مكة قريباً من شهرين.

وقد كان الرسول ﷺ والمسلمون يعرفون الوقت التقريبي الذي تستغرقه القافلة في سفرها إلى الشام ومدة إقامتها فقد ذكرت بعض المصادر: ولما تَحيَنَّ رسول الله ﷺ انصراف العير من الشام ندب أصحابه للعير.. وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم لعل الله يغنمكموها.

وبعث طلحة بن عبيد وسعيد بن زيد قبل خروجه من المدينة بعشرة أيام يتحسسان خبر العير حتى نزلا على كشد الجهيني بالنخبار من الحوار، على الساحل فأجارهما وأنزلهما ولم يزالا مقيمين في خباء حتى مرت العير..»[٦٦].

ويقول الطبري: «وخرج رسول الله ﷺ فيما بلغني عن غير ابن إسحاق لثلاث خلون من شهر رمضان».[٦٧] ولما علم أبوسفيان أن النبي ﷺ استنفر أصحابه لمهاجمة العير أرسل إلى قريش يستنجدهم ولهذا السبب وقع القتال بين مشركي قريش والنبي ﷺ والمسلمين في بدر في ١٧ رمضان سنة ٢هـ.

٩- ثم أرسل النبي ﷺ سرية بقيادة زيد بن حارثة لاعتراض قافلة تجارية لقريش. وقد غيرت قريش طريق تجارتها الذي يمر بين المدينة وساحل البحر، قد وصف أحد زعمائهم وضعهم فقال: إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه لايبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه». واستقر رأيهم أن يسلكوا طريق نجد إلى العراق. ووصلت المعلومات عن القافلة وطريق سيرها إلى رسول الله ﷺ وكان مع زيد مائة من المسلمين ونجحوا في الاستيلاء على القافلة في القردة ماء من مياه نجد وفيها أموال عظيمة[٦٨] ويذكر ابن إسحاق: أن قائدها أبوسفيان بينما يروي الواقدي أن قائدها صفوان بن أمية الجمحي.

ويعطي الواقدي تاريخ هذه السرية في جمادى الآخرة سنة ٣هـ ويوافق تقريباً تشرين الثاني/ نوفمبر ٦٢٤م، ولم يذكر ابن هشام تاريخها لكن ابن كثير يحفظ هذا النص «قال يونس بن بكير قال ابن إسحاق: وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر»[٦٩]. ووفقاً لهذه الرواية يكون تاريخ هذه السرية في ربيع الأول آب/ أغسطس - أيلول/ سبتمبر ٦٢٤م). ومما يرجح رواية الواقدي ماورد عنده في النص من كلام صفوان بن أمية الجمحي " « . . أما الفيافي فنحن شاتون وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل»[٧٠] وبناء على ذلك تكون القافلة قامت في آخر الخريف أو أول الشتاء ولوسلمت لأقامت في الشتاء في الشام.

لم تذكر المصادر أن المسلمين اعترضوا قوافل قريش التجارية لمدة تصل إلى ثلاث سنوات تقريباً، أي بعد سرية زيد بن حارثة إلى القردة (جمادى الآخرة سنة ٣هـ).

وقد حدث أثناء هذه الثلاث سنوات أحداث جسام منها غزوة أحد (شوال سنة ٣هـ/ آذار/ مارس ٦٢٥م) وغزوة الخندق (شوال سنة ٥هـ/ شباط فبراير ٦٢٧م).

١٠ - وقد استأنف المسلمون نشاطهم في اعتراض قوافل قريش التجارية حيث اعترضوا قافلة قادمة من الشام كان يقودها أو كان من أعضائها أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ في المكان المعروف بالعيص ، و نجحت السرية - وعدد أفرادها مائة وسبعون رجلاً - في الاستيلاء على القافلة[٧١].

ويعطي الواقدي تاريخها في جمادى الأولى سنة ٦هـ[٧٢] ويوافق هذا التاريخ تقريباً أيلول/ سبتمبر- تشرين أول/ أكتوبر. أما ابن إسحاق فلم يعط تاريخاً دقيقاً لهذه السرية وإنما قال «حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام . . . »[٧٣]. ومعروف أن فتح مكة تم في رمضان سنة ٨هـ، وكان المسلمون قبل الفتح تربطهم شروط الهدنة مع قريش أو مايسمى بصلح الحديبية، وكان مما ضمنه هذا الصلح لمشركي مكة من الشروط: «ومن قدم من المدينة من المشركين عامداً للشام أو المشرق فهو آمن»[٧٤].

وبناء على ذلك فلايمكن أن يقوم المسلمون بنقض الصلح ومهاجمة قافلة قريش ولو صح أن مهاجمة القافلة تمت بعد توقيع صلح الحديبية فرواية موسى بن عقبة (ت١٤١هـ/ ٧٥٨م) تكون أقرب إلى الصحيح، حيث يذكر عن أسر أبي العاص «إن أسره كان على يدي أبي بصير». [٧٥] وأبوبصير من المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة أثناء مدة الصلح وتنص الاتفاقية بعدم السماح له بالهجرة إلى المدينة فاتخذ مع عدد من المسلمين أمثاله من العيص مقراً له وأخذوا يعترضون قوافل قريش(٧٥ب).

ماتقدم يمثل مجمل الغزوات والسرايا التي ذكرت المصادر أن هدفها كان اعتراض قوافل قريش التجارية الذاهبة إلى الشام أو العائدة منها، وذكرت المصادر سريتين أخريين يمكن عدهما ضمن السرايا السابقة وإن كانتا لاتضيفان إلى معلوماتنا عن القوافل شيئاً ذا بال، وذكرنا لهما هنا من باب الإحاطة بالموضوع فحسب.

أولهما: غزوة النبي ﷺ بحران، معدن بالحجاز، من ناحية الفرع، يذكر الواقدي أن الرسول توجه يريد جمعاً من بني سليم وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ٣هـ، وكانت غيبته عشر ليال[٧٦]. ويوافق هذا التاريخ تقريبًا شهر تشرين الأول/ أكتوبر سنة ٦٢٤م.

أما ابن إسحاق فيقول: «. . يريد قريشاً . . حتى بلغ بحران . . فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً»[٧٧].

أما الطبري فيروي عن ابن إسحاق فيقول: «ثم غزا يريد قريشاً وبني سليم حتى بلغ بحران . .».

ولاتعطينا المصادر معلومات أكثر مما اقتبسنا على أنه من المفيد أن نذكر أن وجهة هذه الغزوة هو نفس وجهة غزوة القردة التي حدثت بعدها بشهر وهو طرق قوافل قريش عبر نجد، ومن ثم فلايستبعد أن تكون قافلة لقريش سلكت هذا الطريق أو أن المسلمين قاموا بهذه الغزوة بناء على معلومات خاطئة.

ثانيهما: سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر أو سرية الخبط، ويذكر الواقدي أنها موجهة إلى حي من جهينة، وعدد رجال السرية ثلاثمائة رجل، وأقاموا على ساحل البحر مدة تصل إلى الشهر وفني زادهم وأصابهم جوع شديد، ولم تذكر الرواية أنه حدثت إغارة أو حصل موادعة أو تحالف مع أي حي من أحياء جهينة، ويؤرخها الواقدي في رجب سنة ٨هـ، ويوافق تقريباً شهر كانون الأول/ ديسمبر ٦٢٩م.

أما البخاري ومسلم فيرويان خبر هذه السرية على لسان المشاركين فيها وهو الصحابي الأنصاري جابر بن عبدالله حيث يقول: «بعثنا النبي ﷺ ثلاثمائة راكب وأميرنا أبوعبيدة نرصد عيراً لقريش فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط، وألقى البحر حوتاً...»[٨٠].

ويمكن أن تكون السرية مزدوجة الهدف فتكون موجهة إلي حي من أحياء جهينة المقيمين على الساحل أو قريب منه، وإلى رصد عير لقريش، لكن بما أن أفراد السرية أقاموا قرابة الشهر دون أي ذكر لحي من أحياء جهينة فيجعل مهمتها في رصد العير أقرب إلى الدقة. وكتب الحديث لم تذكر تاريخ هذه السرية، ولابن كثير استنتاج جيد نصه: «فقوله في الحديث «نرصد عيراً» دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية والله أعلم».[٨١] ونحن نميل إلى الأخذ باستنتاج ابن كثير ونرجح أنها كانت تقريباً في شهر رجب سنة٦هـ، وتوافق تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر٦٢٧م) أي بعد توجيه سرية زيد بن حارثة إلى العيص بشهرين.

وكان تموين السرية قليلاً بحيث أصاب أفرادها الجوع الشديد، وهذا يقوي أنها كانت في سنة ٦هـ أي قبل فتح خيبر في صفر سنة ٧هـ، فبعد فتحها تحسنت أوضاع المسلمين المعيشية نسبياً.

وما نذهب إليه أن قوافل قريش التجارية الذاهبة إلى الشام والعائدة منها لابد أنها كانت أكثر مما دونته كتب السيرة، فمؤرخو السيرة معنيون بتدوين غزوات الرسول وسراياه وليس بتدوين أخبار قوافل قريش التجارية. وقد لاحظنا تتابع

القوافل الذاهبة إلى الشام في السنة الأولى من الهجرة، فالسرايا الثلاث الأولى (رمضان، شوال، ذو القعدة) قامت لاعتراضها.

وينبغي التنبه إلى أن الاثنين والعشرين شهراً التالية للهجرة شهدت سبع غزوات وسرايا لاعتراض قوافل قريش في طريق الشام، بينما توقفت في السنوات الثلاث التالية، ويجب ألا يفهم ذلك على أن تجارة قريش مع الشام قد توقفت، بل إن وقف السرايا والغزوات كان ضمن استراتيجية الرسول ﷺ مراعاة لما كانت تقتضيه مصلحة الأمة. وأرسل الرسول ﷺ في السنة السادسة سريتين الأولى في شهر جمادى الأولى ويحتمل أن الثانية كانت في شهر رجب. ويمكن تفسير استئناف إرسال السرايا أنه بعد الفشل الذريع الذي منيت به قريش وحلفاؤها من اليهود ومشركي العرب في حصار المدينة أو مايسمى بغزوة الأحزاب أو الخندق في شهر شوال سنة ٥هـ، فقال الرسول ﷺ بعد فَكِّ الحصار: «الآن نغزوهم ولايغزوننا، نحن نسير إليهم».[٨٢] وهذا يدل على تغير استراتيجية الرسول ﷺ، فأرسل عدداً من السرايا إلى أماكن مختلفة منها طريق الشام فوجه إليه سرايا إلى قبيلة بني فزارة بوادي القرى وإلى القبائل في الطرف وحسمى، والسريتين اللتين ذكرناهما لاعتراض قوافل قريش، وتوج ذلك كله بخروجه ﷺ ومعه ألف وأربعمائة رجل إلى مكة من أجل العمرة في ذي القعدة سنة ٦هـ، والتي تسميها بعض المصادر غزوة الحديبية، وكادت أن تحصل مواجهة عسكرية دامية مع قريش لكن تم تلافيها بأن دخل الطرفان في مفاوضات تمخض عنها اتفاقية بين المسلمين والمشركين في الحديبية ووضعت الحرب أوزارها بموجب هذه الاتفاقية إلى أن نقضتها قريش بعد اثنين وعشرين شهراً من سريان مفعولها.

الخلاصة:

مما بسطناه في هذه الدراسة اعتماداً على كتب السيرة النبوية ودراسة غزوات الرسول ﷺ وسراياه الموجهة لاعتراض قوافل قريش التجارية، أو حسب مصطلح

المصادر «عير قريش» في طريق الشام، يتضح وضوحاً لا لبس فيه، - وخلافاً لما تذكره المصادر القديمة والدراسات الحديثة: من أن لقريش رحلتين إحداهما في الصيف إلى الشام والأخرى في الشتاء إلى اليمن - أن لقريش رحلات متعددة في السنة الواحدة إلى الشام وفي أوقات مختلفة في الصيف وفي الشتاء وفي الربيع وفي الخريف، وقد يكون هناك جملة من الاعتبارات تنشط قيام «قوافل عند توافرها وتقللها عند غياب بعضها».

ونذكر هنا مثلاً واحداً من أمثلة الدراسة لتأكيد ماوصلنا إليه من نتيجة وهو أن القافلة التجارية التي يقودها أبوسفيان وقامت بسببها غزوة بدر في رمضان سنة ٢هـ، تركت محطة ينبع (العشيرة) في ذهابها إلى الشام في جمادى الآخرة سنة ٢هـ كانون الأول/ ديسمبر ٦٢٣م وعادت من الشام بحيث أصبحت بحذاء المدينة في شهر رمضان سنة ٢هـ - آذار مارس ٦٢٣) مما يدل على أن هذه الرحلة أو القافلة كانت في الشتاء في سفرها وإقامتها في الشام وفي عودتها.

ونلفت النظر هنا أن اللفظ القرآني «رحلة الشتاء والصيف» لم يكن بلفظ المثنى: «رحلتي» وإنما مصدر يقول السجستاني (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤٠م) في تفسير غريب القرآن: والـ«رحلة» الارتحال والسفر.(٨٣) وكذلك يقول أيضاً ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) في لسان العرب(٨٤).

وتذكر بعض المصادر: أنه أصبح الناس يوماً بمكة وعلى دار الندوة مكتوب:

الهي قصياً عن المجد الأساطير
ورشوة مثل ماترشى السفاسير
وأكلها اللحم بحتاً لا خليط له
وقولها: رحلت عير، أتت عير

وينسب الشعر لابن الزبعرى الشاعر المكي المعروف(٨٤) ومايهمنا من هذا الشعر الشطر الأخير من البيت الثاني: «وقولها: رحلت عير، أتت عير»، فهو يدل على كثرة تكرار رحيل العير وقدومها، ولو كانت لاتقوم إلا رحلتان في السنة واحدة في

الشتاء وأخرى في الصيف لما احتاج الناس أن يكرروا مثل هذا القول.

الخاتمة:

بدأ البحث في صدره في محاولة معرفة المقصود برحلة الشتاء والصيف من خلال ماأوردته كتب التفسير في تفسير سورة الإيلاف، وتبين أن الجيل الأول من المفسرين المتمثل بعبدالله بن عباس وتلاميذه وجيلهم لم يذكروا أن رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام باستثناء إحدى روايات عكرمة والتي تفيد في الوقت نفسه أن الرحلتين قد توقفتا. وبدأت تظهر رحلتا قريش في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام عند الجيل التالي لجيل تلاميذ ابن عباس وخاصة محمد بن السائب الكلبي (ت١٤٦هـ) وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ت١٨٠هـ).

أما المفسرون المتأخرون فذكروا أن رحلة قريش في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام دون أن يشيروا إلى مصادرهم.

أما رواية المصادر التاريخية فتذكر الإيلاف وقصة إنشائه ووظيفته ورحلتي قريش إلى اليمن والشام وغيرهما، ومايذكر مصادره منها فترجع كلها إلى محمد بن السائب الكلبي وهو يسند روايته إلى «أبي صالح عن ابن عباس». وأورد الواقدي رواية موجزة عن الإيلاف دون ذكر لرحلة الشتاء والصيف.

وقد اعتمدنا في هذا البحث لمعرفة رحلة قوافل قريش التجارية إلى الشام على كتب السيرة النبوية وخاصة غزوات النبي ﷺ وسراياه الموجهة لاعتراض قوافل قريش التجارية الذاهبة إلى الشام أو العائدة منها. ومن خلال دراستها توصلنا إلى نتيجة مؤداها: أن قوافل قريش التجارية مع الشام كانت متواصلة على مدار العام وليس الصيف فقط.

وبالله التوفيق

ملحق

تواريخ ذهاب بعض القوافل إلى الشام أو عودتها منه
ينبغي ملاحظة الآتي :
١- سوف نعطي اسم الغزوة أو السرية للقافلة التجارية التي خرجت لاعتراضها للإيضاح فقط .
٢- التاريخ المعطى هنا يقصد به تاريخ اعتراض القافلة وليس تاريخ قيامها من مكة أو وصولها إليها .
٣- المنطقة الجغرافية التي تم فيها اعتراض أو محاولة اعتراض القوافل التجارية الواردة في هذه الدراسة تقع - باستثناء القردة - بين ينبع شمالاً ورابغ جنوباً .

القوافل الذاهبة إلى الشام

١- سرية عبيدة بن الحارث/ رابغ

أ- رواية الواقدي : شوال هـ = نيسان/ أبريل ٦٢٣م
ب - رواية ابن هشام : صفر ٢هـ = أيلول/ سبتمبر ٦٢٣م .

٢- غزوة العشيرة/ ينبع

أ- رواية الواقدي : جمادى الآخرة ٢هـ = كانون الأول/ ديسمبر ٦٢٣م
ب - رواية ابن هشام : جمادى الأولى ٢هـ = تشرين الثاني/ نوفمبر ٦٢٣م

٣- سرية القردة/ أرض نجد.

أ- رواية الواقدي : جمادى الآخرة ٣هـ = تشرين الثاني/ نوفمبر ٦٢٤م
ب - رواية ابن هشام : ربيع الأول ٣هـ = آب/ أغسطس ٦٢٤م

القوافل العائدة من الشام

١- قافلة الزبير - طلحة / الخرار.

ربيع الأول ١ هـ = أيلول/ سبتمبر ٦٢٣م

٢- سرية حمزة / العيص

أ- رواية الواقدي : رمضان ١هـ = آذار/ مارس ٦٢٣م

ب - رواية ابن هشام : ربيع الأول ١ هـ = أيلول / سبتمبر ٦٢٣م

٣- غزوة بواط / ينبع

أ - رواية الواقدي : ربيع الأول سنة ٢هـ = أيلول / سبتمبر ٦٢٤م

ب - رواية ابن هشام : ربيع الآخر سنة ٢هـ = تشرين أول / أكتوبر ٦٢٤م

٤- غزوة بدر: رمضان ٢هـ = آذار / مارس ٦٢٤م.

٥- سرية زيد/ العيص

أ - رواية الواقدي : جمادي الأولى ٦ هـ = أيلول / سبتمبر - تشرين أول / أكتوبر ٦٢٧م.

القوافل التى لم يحدد اتجاهها إن كانت ذاهبة أو عائدة

١- سرية سعد / الخرار

أ - رواية الواقدي : ذو القعدة ١ هـ = آيار / مايو ٦٢٣م

ب - رواية ابن هشام : جمادى الأولى ٢هـ = تشرين الثاني / نوفمبر ٦٢٣م

٢- غزوة الأبواء - ودان/ قرب رابغ : صفر ٢ هـ = آب / أغسطس ٦٢٣م.

٣ - سرية أبي عبيدة / سيف البحر: رجب ٦هـ = تشرين أول / أكتوبر - تشرين الثاني / نوفمبر ٦٢٧م

الإحالات على المصادر والمراجع والتعليقات

١- سورة الإيلاف، الآيات ١ -٤.

٢- ابن حبيب، محمد (ت ٢٤٥ ، ٨٥٩م): المُنَمَّق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥/ ١٩٨٥م، ص ٤١-٤٣، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م): تاريخ اليعقوبي (جزءان) دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠/ ١٩٨٠، ١/ ٢٤٢ ٢٤٤، القالي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م): كتاب ذيل الأمالي والنوادر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٩٩.

٣- Mahmood Ibrahim, Merchant Capital and Islam, University of Texas Press, 1990, PP, 42,80.

٤- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م): جامع البيان عن تأويل القرآن (٣٠ جزءاً في ١٥ مجلداً)، مجلد ١٥ج ٣٠ط٢، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص ٣٠٧.

٥ - الطبري: جامع البيان (٣٠/ ٣٠٧).

٦ - الطبري: جامع البيان ٣٠/ ٣٠٨.

٧ - الطبري: جامع البيان ٣٠/ ٣٠٨، القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م): الجامع لأحكام القرآن، (٢٠ جزءاً)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (مصورة عن طبعة دار الكتب)ط٣، القاهرة ١٣٨٧/ ١٩٦٧م ٢٠/ ٢٠١، النسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م): تفسير النسائي، (جزءان) تحقيق: سيد الحليمي وصبري الشافعي، مكتبة السنة القاهرة ١٩٩٠م/ ١٤٠١، ٢/ ٥٥٢.

٨ - البغوي، الحسين بن مسعود الفراء (ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م) معالم التنزيل، بهامش تفسير ابن كثير، مطبعة المنار، القاهرة ١٤٣هـ/ ٩/ ٣٠٦.

٩ - ابن جزي، محمد بن أحمد (ت٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، (٤أجزاء) تحقيق محمد عبدالمنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض، دار الكتب الحديثة، مصر ٠ (د.ت)، ٤/ ٤٣٢.

١٠ - الطبري: جامع البيان (٣٠/ ٣٠٨).

١١ - الطبري: جامع البيان ٣٠/ ٣٠٧.

١٢ - البغوي: معالم التنزيل ٩/ ٣٠٦، الديار بكري، حسين بن محمد (ت ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، (جزءان) بيروت، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، ط (٢)؛ دون تاريخ نشر، ١/ ١٥٦.

١٣ - الدياربكري (١/ ١٥٦).

١٤ - الطبري: جامع البيان (٣٠/ ٣٠٧) وعن أبي صالح انظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٣٠٢)، الذهبي سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٧).

١٥ - الطبري: جامع البيان (٣٠/ ٣٠٧).

١٦ - البغوي: معالم التنزيل (٩/ ٣٠٦).

١٧ - الطبري جامع البيان (٣٠/ ٣٠٧) وعن عبدالرحمن بن زيد انظر خليفة: الطبقات ص ٢٧٥ ابن النديم الفهرست ص٢٨١ الجرح والتعديل (٥/ ٢٣٣)، العسقلاني: تهذيب التهذيب (٦/ ١٧٨).

١٨ - ابن هشام، محمد بن عبدالملك (ت٢١٣/ ٨٢٨م): السيرة النبوية (٤أجزاء في مجلدين) تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الكنوز الأدبية، ١/ ٥٥.
١٩ - ابن جزي: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٢).
٢٠ - انظر عن محمد بن السائب الكلبي: ابن أبي حاتم، محمد بن عبدالرحمن (٣٢٧هـ/ ٩٣٨م): كتاب الجرح والتعديل (٩أجزاء) حيدر أباد، مطبعة مجلس دائر المعارف العثمانية ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
(تصور دار إحياء التراث العربي، بيروت) ٧/ ٢٧٠، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م) تهذيب التهذيب (١٢ جزءاً، حيدر أباد الدكن مطبعة دار المعارف، ط١ ١٣٢٦هـ، ٩/ ١٧٨، وعن عبدالرحمن بن زيد انظر ابن أبي حاتم (٥/ ٢٣٣)، والعسقلاني: تهذيب (٦/ ١٧٨).
٢١ - ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) تفسير القرآن العظيم، (٩مجلدات) القاهرة، مطبعة المنار ١٣٤٣هـ/ ٩/ ٣٠٥.
٢٢ - البغوي: معالم التنزيل (٩/ ٣٠٦).
٢٣ - ابن جزي: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٣٢).
٢٤ - ابن حبيب: المنمق، ص٤١-٤٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي (١/ ٢٤٢-٢٤٤؛ القالي: ذيل كتاب الأمالي والنوادر ص٩٩؛ العسكري، الحسن بن عبدالله (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م): الأوائل (جزءان)، تحقيق: وليد قصاب ومحمد المصري، الرياض، دار العلوم، د. ت ١, ٤٩؛ الثعالبي، عبدالملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ص ١١٥-١٦٦؛ الكلاعي، سليمان بن موسى (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م): الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء (جزءان) تحقيق: مصطفى عبدالواحد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، ١/ ١٤٧.
٢٥ - ابن سعد، محمد منيع (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، (٩أجزاء)، بيروت، دار صادر، د. ت، ١/ ٧٨.
٢٦ - ابن حبيب: المنمق ص٤٤، البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩/ ٣٩٢م): أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ص ٥٩. الطبري، محمد ابن جرير (ت٣١٠هـ/ ١٩٩٢م)، تاريخ الرسل والملوك (١٠أجزاء) تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف ط٤، ١/ ٢٥٢. ومصدر الرواية هشام بن الكلبي عن أبيه، ابن سعد (١/ ٨١)؛ الكلاعي: الاكتفاء ١/ ١٤٨.
٢٧ - ابن سعد (١/ ٧٥).

٢٨ - ابن حبيب: المنمق، ص٢١٩، وقارن البغوي: معالم التنزيل (٦/ ٣٠٦) حيث يقول: «وقال الآخرون» ونقل كلاماً يتفق مع رواية الكلبي.

٢٩ - الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء (٢٣جزءًا) الجزء الخامس: تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ص٣٧.

٣٠ -ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية (١٤جزءًا) بيروت، دار المعارف، ط٤, ١٩٨١،
١٤٠١, ٢/ ٢٥١.

٣١ - ابن هشام: السيرة (١/ ١٣٦).

٣٢ - الطبري: تاريخ (٢/ ٢٥٢).

٣٣ - الطبري: جامع البيان (٣٠/ ٣٠٧).

٣٤ - السدوسي: مؤرج بن عمرو (ت١٩٥هـ/ ٨١٠م) كتاب حذف من نسب قريش تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٣٩٦/ ١٩٧٦، ص٤.

٣٥ - ابن قتيبة، محمد بن عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٧٩م): كتاب الأنواء في مواسم العرب، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م (تصوير) ص١٠٤؛ البيروني، محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م): الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: سخاو، بيروت، دارصادر (تصوير) ص ٣٢٥، وقارن أيضاً عبدالمحسن الحسيني: تقويم العرب في الجاهلية، الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٦٣م، ص ٦-٨.

٣٦ - كتب عدد من الباحثين مفندين آراء كرون وإستنتاجها منهم R.B Serjeant
في مراجعته لكتاب:

Meccan Trade and the Rise of Islam: Misconceptions and Flawed Polimics.

Journal of the American Oriental Society, July - September 1990, Vol, 110, mo3, pp.472-486.

وفكتور سحاب، وجعل نقده لكتاب «كرون» ملحقاً في كتابه: إيلاف قريش، ص٤٢١ - ٤٣٢.

٣٧ - سحاب: إيلاف قريش، ص١٩٥.

٣٨ - العلي، صالح: الحجاز في صدر الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١, ١٤١٠/ ١٩٩٠م، ص١٩٩.

٣٩ - Ibrahim, Merchant Capital and Islam, p.80.

٤٠ - الشريف، أحمد إبراهيم: دولة الرسول في المدينة، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، ص١٣.

٤١ - يستثنى من الدارسين المعاصرين فكتور سحاب: إيلاف قريش ص٢٥٨، فقد تنبه إلى تعدد القوافل وقال: «وهذا قليل إذا اقتصرت رحلة الصيف الشامية على قافلة واحدة وهو أمر غير محتمل، ولذا نعتقد أن رحلة الشتاء والصيف لم تكن متعددة القوافل في جهة سيرها فقط، بل كانت متعددة القوافل إلى الوجهة الواحدة في السنة ذاتها . . .»، ولكنه بالرغم من ملاحظته الثاقبة هذه فقد بنى دراسته كلها عملياً وكأنه ليس هناك غير رحلتين.

٤٢ - حميد الله، محمد، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت، دار النفائس، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ص٦٠.

٤٣ - حميد الله، المصدر السابق، ص٦٢.

٤٤ - البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): صحيح البخاري (٩أجزاء في ٤مجلدات) بيروت، عالم الكتب، ط٢, ١٤٠٢/ ١٩٨٢م، ٥/ ١٥٩، ابن كثير: السيرة النبوية، (٤أجزاء) تحقيق: مصطفى عبدالواحد، بيروت، دار المعرفة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ٢/ ٢٤٩.

٤٥ - ابن سعد (٣/ ٢١٥).

٤٦ - سوف يكون جل اعتمادنا في مقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ الجريجوري (الشمسي) على: محمد زهدي يكن: السنة الهجرية، بيروت، دار يكن للنشر ودار نعيمة للطباعة والنشر. د.ت.

٤٧ - الواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٣م): المغازي، (٣أجزاء) تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب، د.ت، ١/ ٩، ابن سعد٢/ ٦؛ البلاذري: أنساب (١/ ٣٧١)، المسعودي علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م): التنبيه والإشراف، بيروت، دار الهلال، ١٩٨١، ص٢١٦، والعيص ليست على ساحل البحر بل تقع بينه وبين المدينة، على بعد ١٢٠كم شرقاً من ساحل البحر و٢٥٠كم غرباً من المدينة، انظر: معتاد بن عبيد السناني: العيص، الرياض، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص١٧، وعبارة ابن هشام ١/ ٥٩٥، «إلى سيف البحر من ناحية العيص» أصح.

٤٨ - ابن هشام (١/ ٥٩٠-٥٩١، ٥٩٥).

٤٩ - الواقدي١٠/ ١٠)؛ ابن سعد (٢/ ٧)، البلاذري: أنساب (١/ ٣٧١). المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢١٧.

٥٠ - ابن هشام: السيرة النبوية (١/ ٥٩٠-٥٩١، ٥٩٥)؛ ابن خياط، خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمروي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧، ص٦١.

٥١ - ابن هشام (١/ ٥٩٢)؛ابن خياط : تاريخ ص٦١ .
٥٢ - البلادي : عاتق بن غيث : قلب الحجاز ، مكة المكرمة ، دار مكة للطباعة والنشر ، ط١ . ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص٨٩-٩٠ .
٥٣ - الواقدي (١/ ١١)؛ ابن سعد (٢/ ٧)؛ البلاذري : أنساب (١/ ٣٧١)، المسعودي : التنبيه ص٣١٧ ، وينقل الطبري : تاريخ ٢/ ٤٠٣ عن الواقدي : أن عدد رجال العير كانوا ستين ، وانظر أيضاً ابن كثير : السيرة النبوية ٢/ ٣٣٩ .
٥٤ - ابن هشام ١/ ٦٠٠ .
٥٥ - ابن هشام (١/ ٥٩٨ ، ٦٠١) .
٥٦ - الواقدي١/ ١١ ؛ ابن هشام ١/ ٥٩١ ؛ ابن سعد ٢/ ٨ ، البلاذري : أنساب ١/ ٢٨٧ ؛ المسعودي : التنبيه ١/ ٢٨٧ .
٥٧ - الجاسر ، حمد : بلاد ينبع ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، د. ت ، ص١٦١ ؛ الخطيب ، عبدالكريم : شعراء ينبع وجهينة ، القاهرة ، مطبعة الحضارة العربية ، د. ت ، ص١١ .
٥٨ - الواقدي ١/ ١٢ ، ابن سعد ٢/ ٨ ، ابن هشام ١/ ٥٩٨ ؛ الطبري : تاريخ ٢/ ٤٠٧ (ويروى عن ابن إسحاق ويجعل تاريخ الغزوة في ربيع الآخر) . المسعودي : التنبيه ص٢١٨ .
٥٩ - ابن هشام (١/ ٥٩٨) .
٦٠ - الواقدي (١/ ٣٥)، البخاري : صحيح (٥/ ١٧٧) .
٦١ - الواقدي : (١/ ١٢ ، ٢٧) .
٦٢ - ابن هشام (١/ ٥٩٩) .
٦٣ - الواقدي (١/ ٢٨) .
٦٤ - الواقدي (١/ ١٢) .
٦٥ - ابن هشام (١/ ٥٩٩) .
٦٥ب- الواقدي (١/ ٥٤)؛ ابن هشام (١/ ٦٢٠) .
٦٦ - الواقدي (١/ ١٩-٢٠) وتصرفنا بالنص تقديماً وتأخيراً ، وقارن ابن هشام ١/ ٦٠٦ .
٦٧ - الطبري : تاريخ (٢/ ٤٣١) .
٦٨ - الواقدي (١/ ١٩٧)؛ ابن سعد ٢/ ٣٦ ؛ ابن هشام ٢/ ٥٠ ؛ الطبري : تاريخ ٢/ ٤٩٢ ؛ البلاذري : أنساب (١/ ٣٧٤) .
٦٩ - ابن كثير : السيرة ٣/ ٨ .
٧٠ - الواقدي ١/ ١٩٨ ؛ وانظر الطبري : تاريخ ٢/ ٤٩٣ (رواية الواقدي) : «فخرج بهم في الشتاء) .

٧١ - الواقدي (٢/ ٥٥٣) وبعض معلومات هذه السرية عند الواقدي تتشابه مع روايته لسرية القردة، فزيد بن حارثة قائد السريتين. وصفوان ابن أمية قائد عير أهل مكة في القافلتين، واستولى زيد على فضة كثيرة في القافلتين، ويفترض أن الفضة تكون في القافلة الذاهبة لشراء بضائع ولاتكون مع القافلة في ذهابها وعودتها، ابن سعد ٢/ ٨٧؛ ابن هشام ١/ ٦٥٧ ولم يذكر اسم قائد السرية، البلاذري: أنساب (١/ ٣٧٧).

٧٢ - الواقدي (٢/ ٥٥٣).

٧٣ - ابن هشام (١/ ٦٥٧).

٧٤ - البلاذري: أنساب (١/ ٣٥١) وقارن حميدالله: الوثائق السياسية، ص٧٧: «ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله».

٧٥ - الديار بكري ٢/ ٩.

٧٥ب - الواقدي (٢/ ٦٢٤ -٦٢٩)؛ ابن هشام (٢/ ٣٢٣ -٣٢٤).

٧٦ - الواقدي ١/ ١٩٦.

٧٧ - ابن هشام ٢/ ٤٦، ٦٠.

٧٨ - الطبري: تاريخ ٢/ ٤٧٨.

٧٩ - الواقدي ١/ ٦، ٢/ ٧٧٤ - ٧٧٧.

٨٠ - البخاري ٧/ ١٦٢؛ مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م): صحيح مسلم، (٥أجزاء) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، استانبول، د. ت، ٣/ ١٥٣٦، رقم الحديث (١٩٣٥).

٨١ - ابن كثير: السيرة (٣/ ٥٢١ -٥٢٢).

٨٢ - البخاري (٥/ ٢٤١).

٨٣ - السجستاني، محمد بن عزيز (ت٣٣٠هـ/ ٩٤٠م): نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن الكريم، تحقيق: يوسف المرعشلي، بيروت، دار المعرفة، ط، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٢٥٢.

٨٤ - ابن منظور، لسان العرب، (١١/ ٢٧٩) (رحل).

٨٥ - ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ/ ٨٤٥م): طبقات فحول الشعراء، (جزءان) تحقيق محمد محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، (١/ ٢٣٥)، وروايته «رحلت عير مضت عير» السهيلي، عبدالرحمن (ت ٥٨١ هـ/ ١١٨٤م): الروض الأنف: (٧أجزاء) تحقيق عبدالرحمن الوكيل، القاهرة (؟) ٢/ ٨٧.